من الإعجاز العلمي نفي ترادف مفردات القرآن الكريم

Of Scientific Miracle Denied Tandem Vocabulary Of The Koran

حنان بوشطارة

الدكتور: محمد بشير باي

كلية العلوم الإسلامية_ جامعة الجزائر 1 _ hananabouchtara@gmail.com

كلية العلوم الإسلامية_ جامعة الجزائر 1 _ mohamedbachirbey@gmail.com

تاريخ الارسال08/05/2020	تاريخ القبول03/06/2021	تاريخ النشر15/12/2021

الملخص

دقة التعبير القرآني جعلت الكثير من العلماء والباحثين قديما وحديثا ينفي وجود الترادف في مفردات القرآن الكريم، حيث قام هؤلاء بالبحث في المعاني الدقيقة للألفاظ كما فرّقوا بين المتقاربة منها معنىً في كتب خاصة، ككتاب ‹‹الفروق اللغوية›› لأبي الهلال العسكري. تهدف هذه الورقة البحثية إلى نفي الترادف في القرآن الكريم وقد استعنت بما وصل إليه الأولون لغويا وما وصل إليه المتأخرون علميا، فقد أثبت العلم الحديث حقائق علمية ذكرها القرآن قبل أربعة عشر قرنا عن طريق استعمال ألفاظ تبدو في الظاهر أنّها مترادفة، فرغم ثراء معاجم اللغة العربية بالألفاظ واشتقاقاتها إلا أنّ القرآن يختار لفظا بدقة

Abstract

The accuracy of the Quranic expression has made many scholars and scholars old and recent deny the existence of tandem in them, where they investigated the precise meanings of the words as they distinguished between the convergent meaning in special books, such as the book «linguistic differences >> to Abu Hilal. The purpose of this research paper is to deny the tandem in the Holy Quran. It has been used by linguists and linguists. The modern science has proved scientific facts mentioned by the Quran fourteen centuries ago by using words that appear to be synonymous. The choice is in certain places and has

متناهية لا يمكنك تغييره بأي لفظ آخر؛ فهذا الاختيار يكون في مواضع معينة وله دلالات صوتية، صرفية، نحوية ، بلاغية، سياقية، وعلمية، لا يستطيع البشر مراعاة كل هذه المعايير في الوقت نفسه لاستبدال كلمة بأخرى, وهذا ما أعجز الإنسان ولازال يعجزه؛ أن يأتي بآية واحدة بل بكلمة واحدة بنفس براعة التركيب ودقة المعنى.		vocal, morphological, grammatical, rhetorical, and scientific connotations. Human beings can not observe all these criteria at the same time to replace one word with another, This is what is impossible for man And still cannot; to come with one verse, but one word with the same versatility and precision of meaning.
كلمات مفتاحية: الإعجاز العلمي؛ الترادف؛ القرآن الكريم.		**Keywords** :scientific miracle؛ the tandem؛ the Holy Quran.

المؤلف المرسل: حنان بوشطارة ، **الإيميل:** hananabouchtara@gmail.com

1 - مقدمة:

نزل القرآن الكريم بلسان عربّي مبين أعجز العرب بفصاحته وبلاغته عن الإتيان بمثله؛ مما جعله فريدا من نوعه في سموه ورفعته، وأكثر ما يميزه دقة اختيار ألفاظه؛ حيث يؤدى كل لفظ معناه في دقة فائقة تكاد تؤمن معها بأن هذا المكان إنما خلقت له هذه اللفظة دون سواها. بل كل كلمة تحمل إليك معنى جديداً. "فالألفاظ فيه قوية عنيفة في مقام التهديد والوعيد، رقيقة عذبة في مجال الترغيب والتهذيب. وهادئة حسنة في مقام التشريع والتفريع.حتى أن القرآن أشار إلى انتقاء اللفظ المناسب للسيّاق المناسب في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) البقرة 104. "(1)

هذه الدقة جعلت العلماء والباحثين يختلفون حول قضية الترادف في مفردات القرآن الكريم بين وجوده وعدمه، وهو ظاهرة لغوية من خصائص اللغة العربية سببها ثراء اللغة العربية بالألفاظ لتعدد مسميات الشيء الواحد كالسَّيف، والمهند، والصارم... .

سنحاول في هذه الدراسة البحث عن الفروق اللغوية والعلمية لبعض الألفاظ القرآنية والتي ظاهرها الترادف؛ من خلال مراجعة ما ورد في المعاجم اللغوية، وتفاسير الآيات القرآنية، والتحليلات العلمية ، نؤيد من خلالها رأي المنكرين للترادف عن طريق الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فأي بحث في الإعجاز العلمي ينطلق من دراسة ألفاظ الآية القرآنية وتحليل مدلولاتها حتى تكون الحقائق العلمية موافقة لمعاني القرآن الكريم، كما أنّ دقة القرآن في استعمال ألفاظ دون سواها من مرادفاتها ساعدت في استخراج الحقائق العلمية الموجودة في الآية القرآنية والتي سبقت العلم الحديث إليها؛ فأعطى لتلك اللفظة دلالة بيانية وعلمية خاصة، لو لُفَّت على جميع ألسن العرب ما وجدنا ما يسد مسدّها.

وبعد حمد الله والثناء عليه أبدأ بحثي هذا الذي أسسته على تصور يجلى الفكرة من خلال العناصر التالية:

1– مقدمة.

2– **المبحث الأول**: الترادف في مفردات القرآن الكريم.

2. 1. المطلب الأول: تعريف الترادف لغة واصطلاحا

2.2. المطلب الثاني: قضية الترادف في مفردات القرآن الكريم.

3– **المبحث الثاني**: الإعجاز العلمي ينفي ترادف مفردات القرآن الكريم.

3. 1.المطلب الأول: استعمال القرآن للفظين ظاهرهما الترادف في موضعين مختلفين دون المقدرة على تبديل أحدهما مكان الآخر.

3. 2.المطلب الثاني: دقة استعمال القرآن للفظة في موضع محدد دون سواها من المرادفات.

4– خاتمة.

1- المبحث الأول: الترادف في مفردات القرآن الكريم:

إن بلاغة الكلمة القرآنية في التعبير القرآني تجعلنا نتساءل عن سبب اختيارها دون غيرها؛ لأداء معنى معين دون سواها من مرادفاتها في معاجم اللغة العربية، وماذا لو وضعنا هذه الكلمة بدل مرادفتها هل تحقق نفس المعنى الذي حققته الأولى؟، هو أمر شغل الكثير من اللغويين والبلاغيين، مما جعلهم ينقبون عن أسرار معاني المفردات القرآنية، وصولا إلى قضية الترادف في مفردات القرآن الكريم، سأعرض بعضا من الآراء حول هذه القضية ولكن قبل ذلك سأعرّج على مفهوم الترادف في اللغة والاصطلاح.

2. 1. المطلب الأول: تعريف الترادف لغة واصطلاحا

أولا: الترادف لغة:

يرى أصحاب المعاجم العربية أن الترادف في اللغة يقصد به التتابع؛ فقد جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن: الرَّاءُ وَالدَّالُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عَلَى اتِّبَاعِ الشَّيْءِ. فَالتَّرَادُفُ: التَّتَابُعُ. (2) وكما جاء في الصحاح أنّ : (الرِّدْفُ) (الْمُرْتَدِفُ) وَهُوَ الَّذِي يَرْكَبُ خَلْفَ الرَّاكِبِ وَ (أَرْدَفَهُ) أَرْكَبَهُ خَلْفَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ تَبِعَ شَيْئًا فَهُوَ (رِدْفُهُ) . وَ (الرِّدْفُ) أَيْضًا الْكَفَلُ وَالْعَجُزُ وَ (الرَّدِيفُ) (الْمُرْتَدِفُ) وَ (رَدِفَهُ) بِالْكَسْرِ أَيْ تَبِعَهُ. يُقَالُ: نَزَلَ بِهِمْ أَمْرٌ فَرَدِفَ لَهُمْ آخِرُ أَعْظَمُ مِنْهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ} [النازعات: 7] وَ (أَرْدَفَهُ) مِثْلُهُ، نَظِيرُهُ تَبِعَهُ وَأَتْبَعَهُ. وَهَذِهِ دَابَّةٌ لَا (تُرَادِفُ) أَيْ لَا تَحْمِلُ رَدِيفًا. وَ (اسْتَرْدَفَهُ) سَأَلَهُ أَنْ يُرْدِفَهُ وَ (التَّرَادُفُ) التَّتَابُعُ. (3)

وهو كذلك ما ذُكِر في لسان العرب:" الرِّدْفُ: مَا تَبِعَ الشيءَ. وَكُلُّ شَيْءٍ تَبِع شَيْئًا، فَهُوَ رِدْفُه، وَإِذَا تَتابع شَيْءٌ خَلْفَ شَيْءٍ، فَهُوَ التَّرادُفُ، وَالْجَمْعُ الرُّدافَى... وَيُقَالُ: جَاءَ الْقَوْمُ رُدَافَى أَي بَعْضُهُمْ يَتْبَعُ بَعْضًا.(4)

ثانيا: الترادف اصطلاحا :

ذهب ابن جني في باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني إلى أنّ الترادف:" أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة, فتبحث عن أصل كل اسم منها فتجده مفضي المعنى إلى معنى صاحبه".(**5**)

وحدّه الرازي بقوله: "الألفاظ المترادفة هي الألفاظ المفردة الدالة على مسمى واحد باعتبار واحد".(6)

كما عرّفه الشّريف الجرجاني بقوله:" المترادف: ما كان معناه واحدًا وأسماؤه كثيرة، وهو ضد المشترك، أخذًا من الترادف، الذي هو ركوب أحد خلف آخر؛ كأن المعنى مركوب واللفظين راكبان عليه، كالليث والأسد".

وعرّفه عبد القاهر الجرجاني كذلك بأنّه: "عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدّالة على شيء واحد باعتبار واحد"(7).

– نستنتج من خلال ما عرضناه في التعريف الاصطلاحي واللغوي أنّه: لم يتفق العلماء والدارسون قديما وحديثا على تعريف اصطلاحي مشترك، ولكنه عرف بينهم[**بما اختلف لفظه واتفق معناه**]، ويلحظ عدم اتساق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي في معظم التعريفات؛ إلاّ أنّ الشريف الجرجاني أوضح الصلة بينهما حين شبّه المعنى بالشيء المركوب والألفاظ بعدد الركاب عليه متتابعين واحد خلف الآخر.

2.2. المطلب الثاني: قضية الترادف في مفردات القرآن الكريم.

تَعَلُّق قضية الترادف باللغة العربية والاختلاف على وقوعها فيها جعلها تمس مختلف العلوم الأخرى، فقد انقسم العلماء على اختلاف تخصصاتهم كعلم التفسير وأصول الفقه والمنطق وعلوم القرآن بين مثبت ومنكر للترادف قديما وحديثا ولكل منهم دليله وإثباتاته.

وفي هذا الصدد يقول الدكتور عمار ساسي:" والحق أن كل ما ذكر في هذا الموضوع لا يخرج عن رأيين وموقفين متمايزين. الأول: يتبنَّى ويؤيد ظاهرة الترادف في اللسان العربي، ويعتبرها من باب ثراء اللغة وتَكَيُّفِهَا ومُرُونتها مع مستجدات العصر، وهذا دليل على صلاحيتها. الثاني: ينكر ظاهرة الترادف ولا

يعتبرها دليلا على نماء اللغة وتطور ثرائها، إنما يرى ذلك خروجا عن خط دقتها الموسومة به، ويرى في ذلك انحرافا عن أصلها الذي وضعت له، وهذا الاتجاه إذ ينكِرُ الترادف إنما ينطلق من مبدإ الدقة العلمية، ومن أصل أن لكل كلمة خلقت لمعنى واحد دقيق، وأن الاختلاف في المبنى يؤدي حتما إلى اختلاف في المعنى، وأكبر شاهد عندها على ذلك اللسان العربي الأصيل والقرآن الكريم". (8)

ومن فريق المؤيدين لوجود الترادف في مفردات القرآن الكريم ابن الأثير صاحب كتاب "المثل السائر"، ابن العربي، ، الدكتور صبحي الصالح، والدكتور ابراهيم أنيس(9) ، ومن حجج بعض العلماء وخصوصا من اللغويين قولهم " بوجود الترادف في القرآن الكريم كما أنه موجود في اللغة العربية. كيف لا وقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب وهو يجري على أساليبها، وطرق تعبيرها فيها. ومن طرق التعبير في العربية بل من ميزاتها وجود الترادف، وكثرته فيها" (10)

أما فريق المنكرين للترادف في مفردات القرآن الكريم فقاموا بتبيين الفروق الدقيقة بين الألفاظ انطلاقا من السياق القرآني كما اعتبروها ميزة تجعل التعبير القرآني معجزا. ومن علماء اللغة المنكرين للترادف في اللغة العربية أبو الهلال العسكري في كتابه "الفروق في اللغة"، أحمد بن فارس، ابن الأعرابي، ابن درستويه،... .

ومن المفسرين المنكرين للترادف في مفردات القرآن الكريم شيخ الإسلام ابن تيمية، الراغب الأصفهاني، ابن جرير الطبري، ابن عطية، الزمخشري، ابن كثير، القرطبي، الخطابي، السيوطي... . الشايع

وتطرّق كثير من المعاصرين إلى مسألة الترادف، وبينوا الفروق الدقيقة بين ألفاظ قرآنية اعتبرها آخرون مترادفة. منهم: عائشة عبد الرحمن ـ بنت الشاطئ ـ في كتابها " الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الأزرق"(11) ، ومحمد عبد الرحمن الشايع في كتابه: " الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم". ومحمد نور الدين المنجد في كتابه " الترادف في القرآن بين النظرية والتطبيق"، وفضل حسن عباس في كتابه " إعجاز القرآن الكريم"،و فاضل السامرائي في كتابه" لمسات بيانية"، وكذا صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه " إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني".

وفي هذا البحث أنحو منحى هذه الكوكبة من العلماء والباحثين بنفي الترادف في مفردات القرآن، وأبيّن هذا الرّأي فيما ذكره الجاحظ من كلام رائع يبين فيه تلك الجودة في اختيار ألفاظ القرآن بما يناسب سياقها رغم أن العرب تعتبرها من المرادفات، ونعتبر هذا ردا على من يقول بالترادف في مفردات القرآن الكريم بحجة أنه نزل بلغة العرب واستعمل أساليبها، ولو قلّد القرآن أساليب العرب في الكلام فما أتى بجديد ليبهرهم به، ويبيّن تفريق القرآن للمرادفات التي يستعملها العرب في كلامهم قائلا:" وقد يستخِفّ النّاس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والنّاس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث. ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعا. والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال. "(12)

وحجتي في الجزء التطبيقي الموالي تُوافق ما قاله الجاحظ بالتأصيل اللغوي، وأزيد عليه بالتحليل العلمي.

2– المبحث الثاني: الإعجاز العلمي ينفي ترادف مفردات القرآن الكريم:

استعمل القرآن الكريم كلمات ظاهرها الترادف مفرقا بينها في المواضع والمعاني، وقد أثبت الإعجاز العلمي بأن اختيار القرآن الكريم لتلك الكلمات لم يكن مصادفة أو لثراء اللغة العربية أو لتنويع في الخطاب القرآني ليستمتع السامع بذلك، بل يتعدى الأمر إلى اكتشافات علمية حديثة كان القرآن قد سبق أن أشار إليها لتفريقه بينها في الاستعمال.

لقد أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى لمسات بيانية باستخدام أساليب معينة كانت سببا في اكتشاف الإعجاز العلمي لتلك الآية كالتقديم والتأخير، التشبيه، الجمع والإفراد ... ، ولكن في هذا

البحث سأبيّن لطيفة بيانية واحدة تنفي فكرة الترادف بين مفردات القرآن الكريم تجعله كتابا فريدا من نوعه لا يضاهيه أي كتاب منذ نزوله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو **الإعجاز في انتقاء الكلمات المناسبة لكل العصور**، فكل جيل يمكنه أن ينهل منه ذلك ويحس بإعجاز الكلمة دون سواها رغم أنّني إذا جرّدت نفس الكلمة من سياقها وأعدتها إلى معجمها تصبح لفظة عادية، إلاّ أنّ القرآن جعلها كلمة معجزة لا تشبهها أي كلمة في أي ما موضع.

وسأبيّن إنكار الإعجاز العلمي للترادف في مفردات القرآن الكريم ودقة تعبيره بطريقتين نجدهما في القرآن الكريم وهما: استعمال القرآن لكلمتين في موضعين مختلفين ظاهرهما الترادف، واستعماله للفظة دقيقة المعنى دون سوها من المرادفات في معاجم اللغة.

3. 1.المطلب الأول: استعمال القرآن للفظين ظاهرهما الترادف في موضعين مختلفين دون المقدرة على تبديل أحدهما مكان الآخر.

3. 1.1.تفريق القرآن بين النجم والكوكب:

فرّق القرآن الكريم بين النجوم والكواكب من خلال أمرين مهمين يوحي كل منهما إلى حقائق علمية حديثة، سنشرحهما كالتالي:

أولا: من حيث وصف نورها وضوئها:

أشار القرآن الكريم إلى الفرق بين ضياء النّجم ونور الكوكب ممثلا هنا في الشمس والقمر في آية صريحة، يقول تعالى:(**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يونس5** ، في حين كان يُعتقد أنّ الضوء والنور شيء واحد، وأنّه لا فرق بين النّجم والكوكب، إلا بعد الدراسات الفلكية الحديثة أدرك أن" النجوم (مثل الشمس) أجرام سماوية ضخمة مضيئة بذاتها نتيجة للانشطارات والاندماجات النووية والذرية الهائلة التي تحدث بباطنها، أما الكواكب (مثل القمر) فهي أجرام خاملة (سواء كليا أو على

السطح فقط) تابعة، تدور في أفلاك حول النّجوم، ويمكن رؤيتها فقط عن طريق انعكاس الأشعة الضوئية الآتية من النجم المسيطر عليها"(13) ، وارتداد تلك الأشعة الضوئية إلينا يسمى نورا. سنفصل في هذه النقطة أكثر في العنصر التالي والذي بعنوان:تفريق القرآن بين النور والضياء.

ثانيا: من خلال وصف موتها وزوالها.

يقول العلماء أن لكل نجم وكوكب ولادة وموت، ومن العجيب أنّ الله تعالى فرّق في وصف موتها بكلمات دقيقة تطلبت مناظير فلكية وعقود من الدراسة لمعرفتها، يقول تعالى في وصف موت النجم: **(وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ)التكوير2**، ويقول تعالى في آية أخرى(**فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ)المرسلات 8**، ووصف موت الكواكب في قوله تعالى: **(وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ)الانفطار2**.

أ– انكدار النجوم وطمسها: معنى قوله تعالى (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) فيما روي عن ابن عباس قال :" تساقطت"، وروي عنه كذلك:" انْكَدَرَتْ تَغَيَّرَتْ فَلَمْ يَبْقَ لَهَا ضَوْءٌ لِزَوَالِهَا عَنْ أَمَاكِنِهَا "(14).. وهو يتوافق مع معنى قوله تعالى: (فإِذَا النُّجُومُ طمست) لأن "طَمْسُ النُّجُومِ: زَوَالُ نُورِهَا"(15)

وإنه من المدهش والمعجز في هاتين الآيتين أنّ القرآن قد ذكر مرحلتين من مراحل موت النّجوم الانكدار تناقص ضوئها ثم الطمس انمحاؤه كليا ؛ ليأتي العلم التجريبي في أواخر القرن العشرين ليؤكد على ذلك ، يقول علماء الفلك أنّ" النّجم جرم سماوي، مشتعل، مضيء بذاته، ثم في دورة من دورات حياته تتضاءل هذه الجذوة بالتدريج حتى يخبو وهجه ويضعف ضوؤه، وضعف الضوء بالتدريج هو الانكدار، والاختفاء الكامل لضوء النّجم هو الطمس.

والعلماء يتحدثون الآن عما يسمونه باسم الثقوب السوداء(الثقوب السود)وهي حالة من حالات النجوم المبهرة، تتكدس فيها المادة تكدسا شديدا فلا يستطيع الضوء أن ينفلت من عقالها وهي مضيئة، وإذا سقط عليها الضوء تبتلعه ولا ينعكس من سطحها فلا ترى، ولكن تدرك آثار جاذبيتها الشديدة ومجالاتها المغناطيسية الفائقة القوة، فتتحدد بذلك مواقعها في داخل مجرات السماء، وهذه هي نهاية

النجوم العملاقة، بينما يتحدث القرآن عن الكواكب بأن نهايتها الانتثار فيقول ربنا تبارك وتعالى- في محكم كتابه: (**وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ**)**الانفطار2**. (16)

ب- **انتثار الكواكب**: نثر في اللغة رمي الشيء فتناثر متفرقا، جاء في لسان العرب: " النَّثْرُ نَثْرُكَ الشيءَ بِيَدِكَ تَرْمي بِهِ مُتَفَرِّقًا مثلَ نَثْرِ الجَوْزِ واللَّوْزِ والسُّكَّرِ، وَكَذَلِكَ نَثْرُ الحَبِّ إِذا بُذِرَ، وهو النِّثَارُ؛ وَقَدْ نَثَرَهُ يَنْثُرُهُ ويَنْثِرُهُ نَثراً ونِثاراً ونَثَّرَه فانْتَثَرَ وتناثَرَ؛ والنُّثارةُ: مَا تناثَرَ مِنْهُ، وَخَصَّ اللِّحْيَانِيُّ بِهِ مَا يَنْتَثِرُ مِنَ الْمَائِدَةِ فَيُؤْكل فَيُرْجَى فِيهِ الثوابُ. التَّهْذِيبُ: والنُّثارُ فُتاتُ مَا يَتَناثَرُ حَوالي الخِوانِ مِنَ الْخُبْزِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. الْجَوْهَرِيُّ: النُّثارُ، بِالضَّمِّ، مَا تَنَاثَرَ مِنَ الشَّيْءِ."(17)

والانتثار كما شرحه الطاهر بن عاشور: مُطَاوِعُ النَّثْرِ ضِدَّ الْجَمْعِ وَضِدَّ الضَّمِّ، فَالنَّثْرُ هُوَ رَمْيُ أَشْيَاءَ عَلَى الْأَرْضِ بِتَفَرُّقٍ. وَأَمَّا التَّفَرُّقُ فِي الْهَوَاءِ فَإِطْلَاقُ النَّثْرِ عَلَيْهِ مَجَازٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً)[الْفرْقَان: 23] . فَانْتِثَارُ الْكَوَاكِبِ مُسْتَعَارٌ لِتَفَرُّقِ هَيْئَاتِ اجْتِمَاعِهَا الْمَعْرُوفَةِ فِي مَوَاقِعِهَا،..."(18)

وهو ما تؤكده الأبحاث الفلكية اليوم من انتثار الكواكب في الفضاء،" فإنه يوجد في مجموعتنا الشمسية جسيمات متناثرة تدور في أفلاك لها حول الشمس، ويتركز أغلبها في مدار محدد بين مداري المريخ والمشتري، وتعرف هذه الجسيمات المتناثرة باسم الكويكبات (Asteroids)، ويعرف مدارها باسم حزام الكويكبات الرئيس (The-Main Asteroids Belt)، ويفسر هذا الحزام بانفجار كوكب تناثرت أشلاؤه وبقيت تجري في المدار الذي كان محددا له". (19)

نستنتج مما سبق أن الله سبحانه وتعالى فرق بين ضوء النجوم ونور الكواكب، وفرّق بين موت النجم وحدده وفق مرحلتين الانكدار ثم الطمس أي اضمحلال ضوئه تدريجيا حتى يختفي تماما ويصبح ثقبا أسودا، وبين موت الكواكب ووصفها بالانتثار أي انفجارها وتفرقها في صفحة السماء، وقد ذكرت هاتين الآيتين وصفا لما يقع للنجوم والكواكب يوم القيامة، ولكنها تحدث في الحياة الدنيا، وهذا الذي ذهب إليه الدكتور زغلول النجار قائلا:" ومع تسليمنا بأن انكدار النجوم في الآخرة لن يتم بالسنن

الدنيوية التي تنكدر بها في زماننا الراهن، إلا أن إثبات علوم الفلك في العقود المتأخرة من القرن العشرين لحقيقة انكدار النجوم كمرحلة من مراحل احتضارها في الحياة الدنيا يبقى شهادة للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق، وشهادة للنبي الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة". (20)

2.1.3.تفريق القرآن الكريم بين النور والضياء:

وصف القرآن الكريم الشمس على أنها ضياء وسراج، والقمر على أنه نور في قوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يونس 5** .

وقوله تعالى:(وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا)نوح 16.

وقوله تعالى:(تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا)الفرقان 61.

وقوله عزوجل:(وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا)النبأ13 .

جاء في تفسير ابن كثير:"يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا خَلَقَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ، وَأَنَّهُ جَعَلَ الشُّعَاعَ الصَّادِرَ عَنْ جُرْمِ الشَّمْسِ ضِيَاءً وَشُعَاعَ الْقَمَرِ نُورًا، هَذَا فَنٌّ وَهَذَا فَنٌّ آخَرُ، فَفَاوَتَ بَيْنَهُمَا لِئَلَّا يَشْتَبِهَا، وَجَعَلَ سُلْطَانَ الشَّمْسِ بِالنَّهَارِ، وَسُلْطَانَ الْقَمَرِ بِاللَّيْلِ، وَقَدَّرَ الْقَمَرَ مَنَازِلَ،... "(21). وقد فرق أبو هلال العسكري بين الضوء والنور لغويا فقال:"والضوء مصدر ضاء يضوء ضوء يقال ضاء وأضاء أي ضاء هو وأضاء غيره"...، الضوء: ما كان من ذات الشئ المضئ، والنور: ما كان مستفادا من غيره.(22)

ويُعنى بالسِّراج:" الْمِصْبَاحُ الزَّاهِرُ نُورُهُ الَّذِي يُوقَدُ بِفَتِيلَةٍ فِي الزَّيْتِ يُضِيءُ الْتِهَابُهَا الْمُعَدَّلُ بِمِقْدَارِ بَقَاءِ مَادَّةِ الزَّيْتِ تغمرها".(23)

أجد أنّ من دقة التعبير القرآني تفريقه بين الضوء والنور، ولا يمكننا استعمال العكس بوصف الشمس بالنور والقمر بالضياء رغم أنّ ظاهرهما الترادف، لدلالة معينة أشار القرآن من خلالها إلى حقيقة علمية، سبق إليها القرآن علماء الفلك.

فأصحاب الدراسات الفلكية يعرّفون الضّياء على أنّه:" الضوء الذي ينبثق مباشرة من جسم مشتعل مضيء بذاته وحين يسقط هذا الضياء على جسم معتم ينعكس نورا".(24)

وهم يشبهون اشتعال الشمس وإنتاجها للضياء بالمصابيح الكهربائية والسراج، ف"المصابيح الكهربائية تنتج الضوء عن طريق تسخين سلك من معادن الإشعاع، وكلما ارتفعت درجة الحرارة زادت كمية الضوء المشع وارتفعت معدلات تردد موجاته.

وبنفس الطريقة يحترق فتيل السراج بإشعاله بواسطة احتراق الزيت من مثل زيت الزيتون أو النفط أو الكحول ..."(25)

وبعد البحث في كيفية تشكل الضوء والنور، ومحاولة فهم خصائص كل منهما وصل العلماء إلى الفروق العلمية بينهما نذكرها موجزة في الجدول التالي(26):

النور	الضوء
لا ينبعث معه حرارة من مصدره حيث يطلق عليه العلماء اسم الضوء البارد	ينبعث معه حرارة من مصدره
شدة النور : ضعيفة حيث إن النور الصادر من بعض كائنات الأعماق(النور الحيوي) يطابق شدة نور القمر.	شدة الضوء: قوية.
النور لا ينتج عنه الظلمات لأن شدته ضعيفة فيخترق الماء بشكل أضعف بكثير من ضوء الشمس الذي يخترق الماء لعمق 200متر مسبب ظلمات.	الضوء ممكن أن يحدث له امتصاص محدثا ظلمات، مثل ضوء الشمس عندما يمتص في الماء تبعا للعمق الذي يخترقه الضوء، ويزداد الامتصاص بازدياد العمق فينتج عنه ظلمات.
ينتج النور من 1. سقوط الضوء على جسم مظلم بارد، وانعكاسه نورا من سطحه. أو 2 . ينبعث من بعض كائنات الأعماق (النور الحيوي) (سراج)	يصدر من جسم ملتهب، مشتعل، مضيء بذاته.

أمثلة: نور القمر والنور الصادر من بعض كائنات الأعماق (النور الحيوي).	أمثلة: الضوء الصادر من: الشمس والنّار واحتراق الزيوت.
لا يمكن أن يسبب ضرر للعين	ممكن أن يسبب ضرر للعين

تطلبت هذه النتائج العلمية عقودًا من الدراسة بينما ميّز القرآن بين نور القمر وضوء الشمس في وصف علمي موجز ودقيق في آيتين، "هذه الحقيقة العلمية لم يكن لأحد علم بها زمن نزول القرآن. حيث كان الاعتقاد السائد أن الشمس والقمر يبثان الضوء دون تمييز بينهما"(27) وحتى في وقتنا الرّاهن فالعلم الحديث لا يفرق بينهما، " ولكن العلماء اليوم يفرقون بين أنواع الإضاءة المختلفة على حسب المصدر وليس على حسب الخواص الفيزيائية لكل منهما كما فعل المولى عز وجل، فما زال العلم الحديث يقول ضوء الشمس وضوء القمر والضوء الحيوي.."(28)

يقول الدكتور زغلول النجار:"إنّ العلم التجريبي الآن وهو في قمة من قممه في مطلع القرن العشرين لا يفرق بين الضياء والنور، والقرآن بدقة بالغة يفرق بين الضياء والنور"(29)، قبل أربعة عشر قرنا من الآن، هذا يدل على أن القرآن هو كلام خالق هذا الكون وليس بكلام بشر.

2.1.3.تفريق القرآن بين العقيم والعاقر:

وصف القرآن الكريم المرأة مرة بأنّها عاقر في قصة سيدنا زكريّا حين دعا الله أن يرزقه الولد، يقول تعالى على لسان سيدنا زكريا: (**وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا**) **مريم 5** ، وحين استجاب له الله سبحان وتعالى :(**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا**) **مريم8** ، وكذا قال عزوجل:(**قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ**) **آل عمران 40**.

ومرة بأنها عقيم حين تحدث عن زوج سيدنا ابراهيم في قوله تعالى: (**فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**) **الذاريات29**.

وهنا نلتمس فرقا لغويا بين لفظ عاقر ولفظ عقيم والذي يظهر أنهما مترادفان، من عدم تكرار نفس اللفظ في كل الآيات، يوحي هذا إلى إعجاز لغوي وعلمي.

أولاـ العقم هو داء لا دواء له؛ أي لا تستطيع المرأة الحمل مطلقا لأن الله خلقها هكذا، فأصل العقم في اللغة: "اليبس المانع من قبول الأثر يقال: عَقُمَتْ مفاصله، وداء عُقَامٌ: لا يقبل البرء، والعَقِيمُ من النّساء: التي لا تقبل ماء الفحل. يقال: عَقِمَتِ المرأة والرّحم"(30). "و الْعَقِيمُ: فَعِيلٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، وَهُوَ يَسْتَوِي فِيهِ الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ إِذَا جَرَى عَلَى مَوْصُوفٍ مُؤَنَّثٍ، مُشْتَقٌّ مِنْ عَقَمَهَا اللَّهُ، إِذَا خَلَقَهَا لَا تَحْمَلُ بِجَنِينٍ".(31)

وورد في القرآن الريح العقيم في قوله تعالى:(وَفِي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) الذاريات(41)،" و الرِّيحَ الْعَقِيمَ هِيَ: الْخَلِيَّةُ مِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي تُرْجَى لَهَا الرِّيَاحُ مِنْ إِثَارَةِ السَّحَابِ وَسَوْقِهِ، وَمِنْ إِلْقَاحِ الْأَشْجَارِ بِنَقْلِ غُبْرَةِ الذَّكَرِ مِنْ ثِمَارٍ إِلَى الْإِنَاثِ مِنْ أَشْجَارِهَا، أَيْ الرِّيحُ الَّتِي لَا نَفْعَ فِيهَا، أَيْ هِيَ ضَارَّةٌ... وَالْعَرَبُ يَكْرَهُونَ الْعُقْمَ فِي مَوَاشِيهِمْ، أَيْ رِيحٌ كَالنَّاقَةِ الْعَقِيمِ لَا تُثْمِرُ نَسْلًا وَلَا دَرًّا، فَوَصْفُ الرِّيحِ بِالْعَقِيمِ تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ فِي الشُّؤْمِ،(32)

ثانياـ والعقر هو داء يمكن دواؤه، أي عدم قدرة المرأة على الإنجاب جزئيا، وليس أصلا فيها ولم تخلق به وانما كان ذلك بسبب مانع، ففي اللغة:"العُقْر مصدر العاقر، وهي التي لا تَحْمِلُ، يقال: امرأةٌ عَاقِرٌ وبها عُقْر، ونسْوَةٌ عَواقِرُ وعُقَّرُ "(33)،ويمكنها الحمل والإنجاب بعد معرفة ذلك المانع وإصلاحه ودليل ذلك من القرآن في قوله تعالى: **(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) الأنبياء90.**

جاء في تفسير الشعراوي لهذه الآية:" فبعَد أنْ كانت عاقراً لا تلد أجرينا لها عملية ربانية أعادتْ لها مسألة الإنجاب؛ لأن المرأة تلد طالما فيها البويضات التي تكوّن الجنين، فإذا ما انتهتْ هذه البويضات قد أصبحت عقيماً"(34)

وعليه نستنتج أن القرآن فرق بين العقيم وهي التي لا تنجب أبدا والعاقر وهي التي لا تستطيع الإنجاب لوجود سبب يمكن إصلاحه، وهو ما ذهبت إليه التحاليل الطبية اليوم من أن هناك سببان لعدم الإنجاب:– عدم القدرة بتاتا على الإنجاب sterility، – عدم القدرة على الإنجاب مع وجود أسباب مانعة ولهذا فإن sterility هي العقم و infertility هي العقر" (35)، ويطلق على العقر أيضا بعدم الخصوبة.

التفريق بين العقم والعقر في الطب أمر في غاية الأهمية؛ فتحديد مانع الإنجاب يساعد على تشخيص حالة المريض، فإمّا إعطاؤه الأمل في العلاج إن كان عاقرا أو أنّه عقيم لا يمكنه الإنجاب مطلقا، يقول الأطباء أن "العقم (sterility)ليس له علاج ناجع حتى الآن، ومثاله الأمراض الخلقية والوراثية الشديدة التي تصيب الجهاز التناسلي، وعلى وجه الخصوص الغدة التناسلية، فغياب الخصية (Agenesis) أو ضمورها الشديد في حالة متلازمة كلينفلتر (Syndrome Klinefelter) أو عدم وجود المبيض أو شذوذ تكوّنه(Agenesis or Ovarian Dysgenesis) أو متلازمة ترنر (Turner Syndrome)، وغيرها من الحالات المماثلة التي بها خلل في الصبغيات (Chromosomal Aberration) أو خلل في تكوين الجهاز التناسلي لأي سبب من الأسباب تؤدي جميعا إلى العقم(sterility).

وقد يمكن علاج بعض أنواع من هذه الحالات بزرع الخصية أو زرع المبيض، ولكن هذا العلاج بحد ذاته متى تم نجاحه يؤدي إلى مشاكل أخلاقية، ودينية عويصة يهتم بها الإسلام أشد الاهتمام، لأنها تؤدي إلى اختلاط الأنساب، حيث أن الصفات الوراثية للجنين ستكون من الشخص الذي تبرع بالغدة التناسلية (سواء كانت خصية أو مبيضا).

أمّا عدم الإخصاب فهو تعبير يشمل كل الحالات التي يمكن أن تعالج".(36)

بالإضافة إلى الإعجاز اللغوي والعلمي في اللفظين فإنهما يحويان إعجازا صوتي؛ فكلا من" عقيم وعاقر أصلهما ((عقر وعقم)) يشترك الفعلان في الحرف العين ويختلفان في الحرف الأخير الراء

والميم، من صفات حرف الراء التكرار وهذا يناسب الإنجاب، أمّا الميم فتخرج بانطباق الشفتين وهذا يناب عدم القابلية للانجاب".(37)

3. 2.المطلب الثاني: دقة استعمال القرآن للفظة في موضع محدد دون سواها من المرادفات.

1.2.3.لماذا قال الله سبحانه وتعالى مرج ولم يقل مزج؟

كان يعتقد العلماء بوحدة بحار الأرض وليس اختلافها وانفصالها عن بعضها بحواجز، حتى "عام 1873 أي قبل مئة وثلاثة وعشرون عاما فقط اكتشف علماء البحار على يد البعثة العلمية البحرية الانجليزية في رحلة (تشالنجر) سر اختلاف تركيب البحار المالحة وأنها تختلف في تركيبها من درجة الملوحة ومقادير الكثافة وأنواع الأحياء المائية. وفي عام 1942م أي قبل خمس وأربعون عاما تقريبا ظهر لأول مرة في الكتب العلمية الحديثة الجواب على السؤال الذي يحير العلماء، وهو لماذا لا تمتزج البحار وتتجانس رغم عوامل المد والجزر والأعاصير والأمواج والتيارات؟

وكان الجواب أنه توجد (خواص مائية) تفصل بين البحار الملتقية وتحافظ على الخصائص المميزة لكل بحر،... وأكدت الدراسة أنه برغم هذا الاختلاط في منطقة البرزخ ووجود طبقتين فوق بعضهما يوجد حاجز بين الطبقتين يمنع مزجهما وتجانسهما فيكون الماء مخلوطا غير متجانس"(38) ، وهي الحقيقة العلمية التي وصفها القرآن بدقة، وجود حاجز مائي بين الماء الفرات أي العذب مع الماء المالح والذي سماه البرزخ، وعبّر عن نوع الاختلاط بين البحرين بلفظ **مرج** دون **مزج** في قوله تعالى:(**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا**) **الفرقان: ٥٣** ، جاء في تفسير التحرير والتنوير:"المرج: الْخَلْطُ. وَاسْتُعِيرَ هُنَا لِشِدَّةِ الْمُجَاوَرَةِ، وَالْقَرِينَةُ قَوْلُهُ: وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً. وَالْبَحْرُ: الْمَاءُ الْمُسْتَبْحِرُ، أَيْ الْكَثِيرُ الْعَظِيمُ. وَالْعَذْبُ: الْحُلْوُ.وَالْفُرَاتُ: شَدِيدُ الْحَلَاوَةِ. وَالْمِلْحُ بِكَسْرِ الْمِيمِ وُصِفَ بِهِ بِمَعْنَى الْمَالِحِ،... وَأُرِيدَ هُنَا مُلْتَقَى مَاءِ نَهْرَيِ الْفُرَاتِ وَالدَّجْلَةِ مَعَ مَاءِ بَحْرِ خَلِيجِ الْعَجَمِ.

وَالْبَرْزَخُ: الْحَائِلُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ. وَالْمُرَادُ بِالْبَرْزَخِ تَشْبِيهُ مَا فِي تَرْكِيبِ الْمَاءِ الْمِلْحِ مِمَّا يَدْفَعُ تَحَلُّلَ الْمَاءِ الْعَذْبِ فِيهِ بِحَيْثُ لَا يَخْتَلِطُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ وَيَبْقَى كِلَاهُمَا حَافِظًا لِطَعْمِهِ عِنْدَ الْمَصَبِّ".(39)

ومعنى المرج في اللغة:" يدل على الاختلاط، المجيء والذهاب والاضطراب"(40)، وسبحان الله هذه المعاني اللغوية هي نفسها الثلاث حقائق التي تلخص حركة المياه في مكان البرزخ، الاختلاط المجيء والذهاب والاضطراب بفعل المد والجرز والتيارات البحرية والأمواج العاتية كما ذكرنا سابقا.

أما المزج في اللغة فيَدُلُّ" عَلَى خَلْطِ الشَّيْءِ بِغَيْرِهِ. وَمَزَجَ الشَّرَابَ يَمْزُجُهُ مَزْجًا"(41). لذا اختيار القرآن لكلمة مرج لوصف هذه الحقائق أنسب من مزج؛ فالمرج هو الاختلاط دون تجانس خصائص البحرين..والمزج هو الاختلاط مع تجانس خصائص االبحرين.

وسبب عدم التجانس يرجع إلى الاختلاف في "الكثافة ودرجة الحرارة، كما في البرزخ الكائن بين مياه البحر الأبيض المتوسط الساخنة والمالحة، وبين مياه الأطلس الباردة والأقل ملوحة بالقرب من جبل طارق".(42)

فالعجيب أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يركب البحر مرة واحدة، فكيف له أن يعرف بأمر الحواجز المائية واختلاف البحار وخصائصها والتي احتاجت سنين من الرحلات البحرية لمعرفتها، يدل هذا على أنّه النبيّ المصطفى وكلامه وحي يوحى، ولا ينكر هذا إلا جاحد.

2.2.3.لماذا قال الله تعالى والبحر المسجور ولم يقل البحر المشتعل:

نبقى مع آيات البحار مع آية عجيبة بليغة اللفظ والمعنى، في قوله تعالى:(**وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ)الطور6**

ولكي نعرف الفرق بين المسجور والمشتعل والمعنى الذي يؤديه كل لفظ لابد لنا من معرفة ما جاء في معاجم اللغة والتفاسير، فقد جاء في لسان العرب أن لفظ مشتعل يدل على النار الملتهبة فقط :" وشَعَل النارَ فِي الحَطَب يَشْعَلُها وشَعَّلَها وأَشْعَلها فاشْتَعَلَت وتَشَعَّلَتْ: أَلْهَبَها فالتَهَبَت. وَقَالَ اللِّحْيَانِيُّ: اشْتَعَلَت النارُ تَأَجَّجَتْ فِي الْحَطَبِ. وَقَالَ مُرَّةُ: نارٌ مُشْعَلَة مُلْتَهِبة مُتَّقدة" (43)

وقد استعير هذا اللفظ في القرآن للدلالة على سرعة شيب رأس سيدنا زكريّا وهو يناجي ربه أن يرزقه بولد في قوله تعالى:(**قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا) مريم 4**.

أمّا المسجور فهو وصفه للبحر وأصله من الفعل سجر، وهو في اللغة يدل على عدة معاني نذكر منها معنيين متعلقين بالبحر المسجور ومنهما استخرج العلماء حقيقتين علميتن وهما:

أ. الموقد: جاء في مقاييس اللغة:" الْإِيقَادُ فَقَوْلُهُمْ: سَجَّرْتُ التَّنُّورَ، إِذَا أَوْقَدْتَهُ، وَالسَّجُورُ: مَا يُسْجَرُ بِهِ التَّنُّورُ" (44)، وجاء في تفسير القرطبي:"... قَالَ الضَّحَّاكُ وَشِمْرُ بْنُ عَطِيَّةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ وَالْأَخْفَشُ بِأَنَّهُ الْمَوْقِدُ الْمَحْمِيُّ بِمَنْزِلَةِ التَّنُّورِ الْمَسْجُورِ. وَمِنْهُ قِيلَ: لِلْمِسْعَرِ مِسْجَرٌ، وَدَلِيلُ هَذَا التَّأْوِيلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِذَا الْبِحارُ «4» سُجِّرَتْ) أَيْ أُوقِدَتْ، سَجَرْتُ التَّنُّورَ أَسْجُرُهُ سجرا أي أحميته." (45)

اكشف العلم الحديث أن قاع المحيطات والبحار تحتوي على صدوع تمتد لآلاف الكيلومترات ما بين (65و 150) كيلومتر طولا وعرضا، تندفع من هذه الصدوع الصهارة الصخرية ذات الدرجات الحرارة العالية التي تسجر البحر فلا الماء على كثرته يستطيع أن يطفئ جذوة هذه الحرارة الملتهبة ولا هذه الصهارة على ارتفاع درجة حرارتها (أكثر من ألف درجة مئوية) قادرة أن تبخر هذا الماء".(46)

ب . المملوء بالماء المكفوف عن اليابسة: المسجور بمعنى المملوء ذكرت في أغلب كتب اللغة يقول ابن منظور:" سجر: سَجَرَه يَسْجُرُه سَجْراً وسُجوراً وسَجَّرَه: ملأَه. وسَجَرْتُ النهَرَ: ملأْتُه".(47)

أما المكفوف على اليابسة فلم أجد هذا المعنى في معاجم اللغة بل في تفسير بن كثير: وَقَالَ قَتَادَةُ: { [وَالْبَحْرِ] الْمَسْجُورِ} (6) الْمَمْلُوءُ...، وقيل:الْمُرَادُ بِالْمَسْجُورِ: الْمَمْنُوعُ الْمَكْفُوفُ عَنِ الْأَرْضِ؛ لِئَلَّا يَغْمُرَهَا فَيُغْرِقَ أَهْلَهَا. قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ يَقُولُ السُّدِّيُّ وَغَيْرُهُ،..".(48).

وإن أصل هذا المعنى راجع إلى عدم تقبل العرب قضية تعايش الماء والنار وهي من الأضداد مع بعضها البعض دون أن يلغي أحدها الآخر فيكون البحر مسجورا فقالو نبحث عن معنى لسجر غير أوقد على الشيء حتى أحماه فوجدوا من معاني سجر "ملأ وكف"".

ويعني هذا أن الله ملأ الماء في البحار وحجزه عن اليابسة حفاظا عليها من الغرق، يقول العلماء اليوم:" أن جليد القطبين وجليد قمم الجبال إذا انصهر فإنه يؤدي حتما إلى إغراق الأرض، وليس هذا من قبيل الخيال العلمي؛ لأن الأرض قد مرت بها فترات كانت البحار فيها أكثر غمرا لليابسة من حدود شواطئها الحالية، كما مرت فترات كانت أشد انحسارا عن حدودها الحالية، والضابط في الحالتين هو كم الجليد فوق قطبي الأرض وعلى قمم الجبال فإذا زاد كم الجليد انخفض منسوب المياه في البحار والمحيطات، وإذا نقص ارتفع منسوب المياه في البحار والمحيطات، ومن هنا كان تفسير والبحر المسجور بالبحر المملوء بالماء المكفوف عن اليابسة تفسير صحيح".(49)

نلاحظ أن كلا من المشتعل والمسجور يقصد به الموقد، ولكن البحر المشتعل يكون دائم الاشتعال مع الالتهاب، وأما المسجور غير ذلك حيث وجد العلماء " أن قيعان المحيطات مسجرة بالنار أي أن النار أوقدت تحت الماء حيث تندفع الحمم البركانية الحمراء عبر الصدوع وهي مشتعلة دون لهب مثل التنور أي الفرن المشتعل". (50)

ويقول الدكتور زغلول النجار أن:"المبهر في هذه الصياغة المعجزة أنه نظرا لعدم وجود الأوكسجين على قاع البحر لا يمكن للحمم البركانية المندفعة عبر صدوع قاع المحيط أن تكون مشتعلة على طول خط الصدع، ولكنها عادة ما تكون داكنة السواد، شديدة الحرارة، دون اشتعال مباشر، تشبهه صاجة قاع الفرن البلدي إذا أحمى أسفل منها بأي وقود فإنها تسخن سخونة عالية يمكن خبز العجين عليها".(51)

نخلص إلى أن المسجور يدل على البحر الموقد سواء بلهب أو بدون لهب أما المشتعل فيدل على البحر المشتعل باللهب، كما الفرق بينهما أن لفظ مسجور يؤدي معنيين الموقد والمملوء بالماء المكفوف عن اليابسة وهما حقيقتين علميتين توصل إليهما العلم الحديث أما المشتعل فتدل على معنى واحد وهو الموقد فقط.

وهنا يعجب الإنسان من دقة التعبير القرآني اللغوية والعلمية حين اختار لفظ المسجور بدل المشتعل، الذي شمل ظواهر طبيعية متعلقة بالأرض و البحر.

3- الخاتمة :

تاريخ الكتابة ضارب في القدم وكلما أُلِّف كتاب ينبهر النّاس بأسلوب كتابته وسرد أفكاره ومعلوماته، ولكن ما إن يظهر كتاب جديد بأسلوب مغاير تنطفئ شهرة الأول وهكذا ،إلاّ القرآن الكريم فمنذ نزوله ما زاد إلاّ إبهارا وإذهالا للنّاس، في كل عصر يكشف سر من أسراره وكأنّه رسالة إلهية مشفرة تحتاج إلى درجات من الذكاء المتطور ليحل ألغازها. فقبل قرون لم يستطع العرب تقبل فكرة البحر المسجور بالنّار، ولكن اليوم بفضل العلم الحديث لم يصبح تصورا فقط بل حقيقة علمية يمكننا مشاهدتها بأم أعيننا، وهذا يفسر دقة القرآن الكريم في اختيار ألفاظه حتى لو لم تكن مفهومة في زمن معين، كما يضيف دلالة جديدة وهي الدلالة الغيبية فالقرآن عبَّر عن ظواهر كونية بألفاظ دقيقة كان يَعتَقِد بعضهم بأنّها غير مناسبة أو مبهمة لقصور إدراكهم بخلق الخالق.

أصبح المسلم وغير المسلم مذهولا في الحقائق العلمية التي يحويها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا، وكيف انتقى لها أنسب الألفاظ للمعنى والمبنى اللذين يناسبان كل العقول في كل العصور؛ بحيث أنّك لو جربت أي مرادفات موجودة في معاجم اللغة لن تحصل على الحقيقة العلمية التي تدل عليها الآية القرآنية، حتى أنّك تجد في القرآن لفظين مترادفين ظاهرا ليظهر أنهما مختلفين علميا ولغويا بحيث كل لفظ يدل على حقيقة علمية معينة، هذا يدعو كل واحد منا إلى الوقوف بنظرة تأمل أمام الآيات القرآنية لتدبر معانيها ومحاولة فهمها ؛ فالقرآن لم يخصص لفترة من الزمن ولفئة من الناس بل هو صالح لكل زمان ومكان.

الهوامش:

1) عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: 1429هـ)، 1413 هـ - 1992 م، خصائص التعبير القرآني، مكتبة وهبة،ط 1، ج1ص252/266 –بتصرف–.
2) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، 1399هـ - 1979م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ج2، ص503.
3) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، 1420هـ / 1999م، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط 5، ج1ص121
4) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، 1414 هـ، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3، ج9، ص114.
5) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، ج2، ص115
6) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، 1418 هـ - 1997 م، المحصول، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط3، ج1، ص253.
7) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، 1403هـ -1983م، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1، ج1، ص56/199.
8) عمار ساسي، 2016م، مقال بعنوان" نظرة لغوية في إشكالية الترادف بين القدامى والمحدثين" ضمن كتاب مباحث في اللسانيات العربية وقضاياها الراهنة من الوصف إلى الفحص، مخبر اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات جامعة البليدة2 لونسي علي البليدة، ط1، ص 151.
9) محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع، 1414هـ/1993م، الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، الرياض مكتبة العبيكان، ط1،ص165-180.
10) الفروق للشايع المرجع نفسه، ص164. بتصرف
11) الفروق للشايع المرجع نفسه، ص190-207.
12) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، 1423 هـ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج1، ص41.
13) محمد السيد أرناؤوط، 1431هـ -2010م، من وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الإعجاز في خلق السموات والأرض، الأندلس الجديدة مصر، ط1، ص46.

14) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، 1384هـ - 1964م، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، ج19ص228.

15) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، 1984 هـ، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»]، الدار التونسية للنشر - تونس،ج29، ص42.

16) زغلول النجار، 1429هـ- 2008، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ط13، ج1، ص60-.61.

17) لسان العرب،ج5ص191 مقاييس اللغةج5ص389.

18) التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج30ص171.

19) زغلول النجار، 2016، من التفسير العلمي للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، ج30، ص104.

20) زغلول النجار، من التفسير العلمي للقرآن الكريم، المرجع نفسه، ج30،ص85.

21) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، 1420هـ - 1999 م، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 248/4.

22) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، 1412هـ، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط1، 332/1.

23) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج29ص203.

24) زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي، مرجع سابق، ج1، ص58.

25) زغلول النجار، 1426هـ- 2005م، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، دار المعرفة بيروت- لبنان، ط3، ج1ص503.

26) الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، شعبان 1433، مجلة الإعجاز العلمي ، العدد 41، ص59.

27) عبد الدائم الكحيل، الموسوعة المصورة للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ج3 ص11، نقلا عن موقع ww.kaheel7.com

28) مجلة الإعجاز العلمي ، مرجع سابق، ص59.

29) زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي، مرجع سابق، ج1، ص59.

30) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، 1412 هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت1412، ط1، ،ج1ص579. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 1420 هـ، ج9ص557.

31) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج26، ص361 .

32) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، ج27ص11.

33) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج1ص150.

34) محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، 1997 م، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ج15ص9632.

35) الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 1432هـ-2011م ملخصات بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ،ص131.

36) زهير أحمد السباعي ومحمد علي البار، 1413هـ-م1993، الطبيب أدبه وفقهه، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط1، ص330

37) ملخصات بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي، مرجع سابق، ص331.

38) مجلة الإعجاز العلمي ، ربيع الثاني 1418هـ، هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العدد 3، ص47/46.

39) الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج19، ص54.

40) ابن فارس، مقاييس اللغة ج5ص 319/315.

41) ابن فارس، مقاييس اللغة، المصدر نفسه، ج5ص 319/315.

42) منصور محمد حسب النبي ، م2010، الأمطار والبحار (سلسلة الكون..كتاب الله المنظور آيات ودلالات، دار الفكر العربي القاهرة، ص 36/35 بتصرف.

43) ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص354.

44) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص135.

45) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج17، ص61.

46) يوسف الحاج أحمد، 1424هـ-2003م، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط2، ص456. بتصرف.

47) ابن منظور، لسان العرب، ج4ص345.

48) تفسير ابن كثير، ج7ص430.

49) زغلول النجار، من آيات الإعجاز العلمي، مرجع سابق، ج1، ص82-83.

50) شحاته صقر، الموسوعة الميسرة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الصحيحة المطهرة، نقلا عن موقع كتاب k-tab ،ص432.

51) من آيات الإعجاز ص83-بتصرف-.

المصادر والمراجع:

1. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، 1399هـ - 1979م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

2. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، 1420هـ / 1999م، مختار الصحاح، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط 5.
3. محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، 1414 هـ، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3.
4. أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
5. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، 1418 هـ - 1997 م، المحصول،دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، ط3.
6. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، 1403هـ -1983م، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط1.
7. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
8. محمد بن عبد الرحمن بن صالح الشايع، 1414هـ/1993م، الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، الرياض مكتبة العبيكان، ط1.
9. عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء ، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، 1423 هـ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
10. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، 1384هـ - 1964م، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق:أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2.
11. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، 1984 هـ، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»]، الدار التونسية للنشر – تونس.

12.أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، 1420هـ – 1999 م، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2.
13.أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، 1420 هـ، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت.
14.محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، 1997 م، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم.
15.زغلول النجار، من التفسير العلمي للقرآن الكريم دار نهضة مصر، ج30.
16.أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، 1412هـ، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط1.
17.أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، 1412 هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت1412، ط1.
18.عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: 1429هـ)، 1413 هـ – 1992 م، خصائص التعبير القرآني، مكتبة وهبة، ط 1.
19.زهير أحمد السباعي ومحمد علي البار، 1413هـ-1993، الطبيب أدبه وفقهه، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت، ط1.
20.محمد السيد أرناؤوط الأندلس الجديدة مصر، 1431هـ -2010، من وجوه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الإعجاز في خلق السموات والأرض، ط1.
21.عمار ساسي، 2016م، مقال بعنوان" نظرة لغوية في إشكالية الترادف بين القدامى والمحدثين" ضمن كتاب مباحث في اللسانيات العربية وقضاياها الراهنة من الوصف إلى الفحص، مخبر اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات جامعة البليدة2 لونسي علي البليدة، ط1.
22.زغلول النجار، 1429هـ- 2008، من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ط13.
23.زغلول النجار، 1426هـ- 2005م، من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم، دار المعرفة بيروت- لبنان، ط3.

24.الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مجلة الإعجاز العلمي، العدد 41، شعبان.
25.الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 1432-2011، ملخصات بحوث المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
26.هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ربيع الثاني 1418هـ، مجلة الإعجاز العلمي، العدد 3.
27.منصور محمد حسب النبي، 2010م، الأمطار والبحار (سلسلة الكون.. كتاب الله المنظور آيات ودلالات، دار الفكر العربي القاهرة.
28.يوسف الحاج أحمد، 1424هـ-2003م، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط2.
29.عبد الدائم الكحيل، الموسوعة المصورة للإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، نقلا عن موقع ww.kaheel7.com
30.شحاته صقر، الموسوعة الميسرة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الصحيحة المطهرة، نقلا عن موقع كتاب k-tab.